الثورة الجزائرية في الآداب

د. أبو القاسم سعد الله

العودة الى مجلة الآداب في الخمسينات تعني العودة الى شيئين عزيزين على نفسي : الشباب الذي كان حقيقة فاصبح حلما والثورة التي كانت حلما فاصبحت حقيقة. فقد عدت الى انتاج هذه المجلة ابحث عما نشرته عن الثورة الجزائرية فاذا بي اعيش من جديد الايام التي كانت الآداب تصلنا فيها ونحن طلاب بتونس نبحث ، كجزائريين، عن منبع للثقافة العربية التي حرمنا منها الاستعمار في بلادنا . وكانت الاداب عندئذ في نظرنا تمثل تيارا جديدا تقدميا قوميا لا يؤمن به اساتذة الزيتونة ولا طلابها المتزمتون . وكان من يقرأ الآداب عندئذ كمن يقرأ موسوعة ديدرو في القرن الثامن عشر .

ومن حقي ان اكتب عن الآداب لانني قد عاصرتها قارئا وكاتبا منذ عهد الطلب الى اليوم . فرغم انني كنت طالبا في السنة الاخيرة من الثانوية العامة (التحصيل) نشرت فيها اول مقالة بعنوان (أرض الملاحم) . ومع هذا العنوان عنوان فرعي يقرأ هكذا (في طريق الياذة جزائرية) وهذا العنوان وحده كان كافيا لتحديد علاقتي بالثورة وعلاقة الاداب بالجزائر . ذلك ان المقال المذكور قد نشر قبل انفجار الثورة الجزائرية ، التي كرست لها الآداب صفحات كثيرة من أعدادها ، بستة شهور . وكانت هذه الثورة هي (الالياذة) الحقيقية التي تحدث عليها المقال .

وقد ازددت ارتباطا بالاداب يوم نشرت فيها بعض القصائد التي تنوه بكفاح الجزائر وتربط بينه وبين كفاح فلسطين وكفاح الامة العربية في جميع اجزائها ، ثم عندما نشرت فيها ابحاثا عن الادب الجزائري في جميع اشكاله ، محاولا تعريف القراء العرب به ، وخصوصا المثقفين منهم . وقد نشرت ذلك كله بينما كنت ما ازال طالبا في جامعة القاهرة . وكما شعرت الاداب بواجبها القومي نحو المعركة العربية في الجزائر شعرت انا بواجبي الوطني في النضال القلمي من اجل هذه المعركة . وهكذا التقت ارادة الاداب وارادتي فكانت هي تكمل ضعفي الذي يعود احيانا الى عدم النضج بحرارة ايمانها بالمعركة القومية ، وكنت اثبت ايمانها بما اقدمه لها من نماذج حية للادب الجزائري باعتباره مكملا للادب العربي حيثما كان .

وهذا البحث الذي اكتبه بمناسبة العيد الفضي للمجلة لا يغطي في الواقع سوى فترة الثورة الجزائرية ولا يمتد عبر سنوات صدور الاداب الطويلة ، وهي الفترة التي اشتدت فيها فورة شبابي بحدة المعركة في الجزائر

وانعكس كل ذلك على صفحات الاداب التي اصبحت ديوانا يضم عن الجزائر فصولا كتبت ليس فقط عن الادب ولكن عن السياسة والاقتصاد والمواقف الانسانية ايضا .

ـ ١ ـ

صدرت الاداب في يناير ١٩٥٣ والحالة السياسية في منطقة المغرب العربي في اضطراب شديد وعلاقة بلدانها، وخصوصا تونس ومراكش (المغرب) بفرنسا متوترة الى اقصى الحدود . فلا غرابة حينئذ ان تبدأ الاداب اهتمامها

باوضاع المغرب العربي . ولكن صورة هذا المغرب لم تكن قد تبلورت بعد في اذهان كتاب المجلة . ذلك ان هؤلاء الكتاب كانوا يستعملون عبارات جغرافية غير محددة نقلا عن المصادر الفرنسية غالبا ، مثل (افريقية الشمالية). وكان اول عنوان اختاره مراسل الاداب في باريس لمراسلته هو (الادب الافريقي بالفرنسية) . وقد تحدث فيها عن روايتين لكاتبين جزائريين وهما (الربوة المنسية) لمولود معمري و (البيت الكبير) لمحمد ديب. وقد حلل الروايتين واظهر مفهومهما السياسي المعارض للاستعمار رغم انهما كتبتا بالفرنسية . وفي المراسلة الموالية عاد الى نفس العنوان وهو (عود الى الادب الافريقي) حيث تحدث عن نيل محمد ديب بجائزة عن روايته السابقة وعن قرب صدور رواية مولود فرعون (الارض والدم) وعن كون (الربوة المنسية) لمولود معمري قد حصلت ايضا على جائزة ، الخ . ولكن الاداب سنة ١٩٥٣ كانت ما تزال تتحدث عن الادب الافريقي بدلا من الادب الجزائري ،وكان مصدرها في ذلك (باريس) وليس (الجزائر) ولاحتى المغرب العربي .

غير ان هذا الغموض الجغرافي بدأ يزول بدخول سنة ١٩٥٤ . ففي العدد الاول من هذه السنة خرج الدكتور سهيل ادريس بمقالة عن (القصة العربية في افريقية الشمالية) التي لفتت الانتباه الى ادب المغرب العربي ، كما اثارت بعض التعاليق . وقد ركز الدكتور ادريس على ادب تونس ، وخصوصا انتاج محمود المسعدي . اما فيما يتعلق بالجزائر (التي لم تكن الثورة قد وقعت فيها بعد) فقد اشار الى ضعف مستوى الثقافة العربية فيها ، وحكم بانعدام القصة العربية في الجزائر، وعد من ادبائها بالفرنسية محمد ديب ومولود فرعون . ومما يلفت النظر انه اضاف الى هذين ادباء الفرنسيين المولودين بالجزائر مثل البير كامو وعمانويل روبلس، غير ان الدكتور ادريس ربط في مقالته بين نهضة الادب العربي في المغرب العربي وبين تحقيق الاستقلال والحرية . لذلك تمنى في النهاية حصول « افريقية الشمالية » على استقلالها السياسي حتى تغني الادب العربي بطاقة جديدة .

وسرعان ما بدا اسم (المغرب العربي) يظهر على صفحات الاداب . فقد فتحت بابا بذلك العنوان في قسم النشاط الثقافي في العالم العربي . واستقبلت مراسلات من تونس عن الحركة الادبية في هذا القطر ،ومن مراكش (المغرب) عن القصة العربية في هذا القطر ايضا. وقد استمر هذا الاهتمام بالمغرب العربي في تصاعد . وفي هذه الفترة كتبت في الاداب مقالتي (ارض الملاحم او في طريق اليأس جزائرية) المشار اليها . كما نشرت بعد ذلك فيها ، باسم رشيد الخولي ، تعليقا حول ارض الملاحم . ولكن اهتمام الاداب بالجزائر كان ما يزال ثانويا . فقد كانت اخبارها تاتي من باريس كما اشرنا وليس من المغرب العربي ، يضاف الى ذلك ان كلا من تونس والمغرب كان في انتفاضة سياسية تجلب اليه الانظار ، بينما كانت الجزائر ما تزال في هدوء ، ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة . وقد هبت هذه العاصفة في فاتح نوفمبر ١٩٥٤ . ومع ذلك فقد انتهى عام ١٩٥٤ من حياة الاداب دون تعليق يذكر على هذا الحدث الكبير.

ـ ٢ ـ

وفي السنة الموالية كان هذا الاهتمام ما يزال ضعيفا ايضا . فاذا استثنينا انتاج عثمان سعدي فان الاداب لم تنشر شيئا عن الجزائر جديرا بالذكر . ففي العدد الثالث (١٩٥٥) نشر سعدي مقالة بعنوان (مشكلة الثقافة في الجزائر) عرف فيها بالحياة السياسية والاحزاب وعلاقة الجزائريين بالفرنسيين ونوه بالثورة . وتحدث عن زعماء الجزائر . وانتهى في بحثه الى ان الثقافة في الجزائر قد اتجهت ثلاثة اتجاهات : الاتجاه الشعبي (لغته العامية ـ البربرية) والاتجاه العربي التعليمي (لغته الفصحى) والاتجاه الثقافي العام (لغته الفرنسية) . ومهما كان محتوى هذا المقال فانه يعتبر اول تعريف بالجزائر سياسيا في مجلة الاداب.

ولم تمض فترة طويلة حتى اخرجت الاداب بحثا طويلا عن الجزائر اهتمت به اهتماما خاصا حين جعلته (بحث الشهر) وهو (الفن الشعبي في الجزائر) لعثمان سعدي ايضا . وقد ترجم سعدي نفسه قطعة لكامو بعنوان (رجوع الى تيبازة) . ولا تهمنا هنا ترجمة هذه القطعة بقدر ما يهمنا ما دار حولها بعد نشرها . ذلك ان الاداب قد اعتبرت كامو اديبا جزائريا كبيرا حين قالت في تقديم الترجمة « هذه قطعة من روائع الاديب الجزائري الكبير البير كامو » ولعل اهتمامها بكامو يعود الى «جزائريته» في نظرها . غير ان هذا قد ينقضه عناية الاداب بكامو الفيلسوف والقصاص ايضا ، كما سنرى ، والنقطة الثانية التي اثارتها ترجمة سعدي ايضا هي ان الاداب قد اختارت لها عنوانا آخر بارزا وهو (صفحات من الادب الجزائري الحديث) . ولا شك ان هذا يعكس اهتمام الآداب بقضية الجزائر اكثر مما يعكس اهتمامها بأدب كامو . فقراؤها كانوا في حاجة الى اخبار الجزائر فيها اكثر من حاجتهم الى اخبار كامو . وقد اعترض الدكتور على سعد في تعليقه على وضع الاداب (صفحات من الادب الجزائري الحديث) امام قطعة كامو (رجوع الى تيبازة) لان كامو في نظره ليس عربيا ، ومن ثمة فان ادبه ليس ادبا عربيا جزائريا بل هو ادب فرنسي لحما ودما .ورغم ان سعدي قد انتصر لكامو الجزائري وهاجم الموقف العربي في المشرق من ثورة الجزائر ، فان تعليق الدكتور علي سعد كان درسا للاداب التي لا نجدها تذكر كامو مستقبلا على انه جزائري ، باستثناء المولد طبعا .

ولكن الآداب قد اكتشفت الجزائر سنة ١٩٥٦ ، فقد ضمت اعدادها خلال هذه السنة ابحاثا ضافية عن ثورة الجزائر وعن علاقتها بالاستعمار الفرنسي وعلاقة كفاح الجزائر بكفاح الامة العربية . كما ضمت عددا كبيرا من القصائد والقصص والاخبار التي يتعاطف اصحابها مع الثورة ، وكان هؤلاء من مختلف انحاء الوطن العربي ، بما في ذلك الجزائر نفسها ، كما قدمت الاداب اعمالا مترجمة لكتاب فرنسيين او جزائريين يكتبون بالفرنسية .

فقد صدر العدد الثاني من السنة المذكورة يحمل عرضا لحياة الشهيد زيدون بن قاسم قدمه عثمان سعدي. وكان الشهيد زيدون من الشبان الجزائريين المثقفين الذين تلقوا علومهم في كلية دار العلوم بالقاهرة . وبعد انضمامه للثورة القت عليه سلطات الاحتلال في وهران القبض وحكمت عليه بالموت في الثالث من نوفمبر ١٩٥٤ .

ولكن العدد الثالث ضم خمسة ابحاث عن الجزائر، بما فيها افتتاحية المجلة نفسها . كما ضم قصيدتين احداهما لبدر شاكر السياب والاخرى لكاتب هذا البحث، ذلك ان الآداب قد خصصت القسم الاول من العدد المذكور لقضية الجزائر بمناسبة عرضها على هيئة الامم المتحدة. وكان هذا الموقف من الاداب يندرج في ايمانها « بوحدة النضال العربي » من جهة وفي مشاركتها في التعريف بقضية الجزائر التي جعلتها الامة العربية قضيتها في تلك الفترة . وانتهى رئيف خوري ، الذي كتب عن(الحل الوحيد لقضية الجزائر) الى ان الحل في نظره يكمن في « التسليم باستقلال وطني للجزائريين تنبثق منه جمهورية جزائرية عربية وطنية ديموقراطية » وحلل الدكتور عبدالله عبدالدائم (مآثر فرنسا في الجزائر) ودحض دعاوي فرنسا الحضارية هناك ، وخلص الى ان الموضوع ليس موضوع ازدهار اجتماعي بالنسبة للانسان العربي في الجزائر ، ولكن « المسألة بالنسبة اليه قضية كرامة قومية » .

وترجمت الاداب تعليقا على رواية (نجمة) لكاتب ياسين كتبه الفرنسي موريس نادو ، وجعلت للترجمة عنوانا يناسب احداث ذلك الوقت ، وهو (نجمة رواية الجزائر المناضلة) كما وضعت صورة كاتب ياسين وعرفت بحياته وقالت انه هو مؤلف رواية (الجثة المنطوقة) ايضا . وقدمت الاداب لقرائها العرب عرضا لكتاب فرنسي هام عن الجزائر في ذلك الوقت ، وهو (الجزائر الخارجة على القانون) لكوليت وفرانسيس جونسون . فهو اول كتاب يعرض لاصول الاستعمار الفرنسي في الجزائر ويوضح العلاقة بين الانسان الجزائري والفرنسيين . وقد لخصته تلخيصا وافيا استغرق منها حوالي ست صفحات . وانتهى عرضها له بقول المترجم « فالكتاب جدير بان يطلع عليه كل عربي ، وجدير بان يحمل الشكر تكاتبيه، شكر كل مؤمن بالانسانية وبالتحرر القومي » واهتمت الاداب في نفس العدد باخبار النشاط الثقافي في فرنسا، فاوردت من هناك حديثا عن (الادب وقضية الجزائر) ذكرت فيه بيانين للكتاب الفرنسيين عن حرب الجزائر ، ومهاجمة الاستعمار الفرنسي هناك من طرف الكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية ، مثل محمد ديب.

وافتتحت الاداب عددها الخامس من نفس السنة (بالديموقراطية والابادة) الذي تحدثت فيه بلهجة شديدة عن مساندة الاحزاب الفرنسية للحكومة ، وهي الاحزاب التي كانت من قبل تنادي بالديموقراطية ومحاربة الطغيان. كما تحدثت عن زيف الضمير العالمي ، وتفاءلت بانتصار الثورة الجزائرية ضد الطغيان والاستعمار . ومما يلفت النظر ان المجلة قد وضعت صورة على غلافها الخارجي لرجل يحمل بندقية وكتبت تحتها « تحية الى ثوار الجزائر العربية » . وهكذا يظهر جليا اهتمام المجلة الكبير بقضية الجزائر وبربط نضالها بنضال الامة العربية .

وفي نفس العدد بحث لعثمان سعدي ، وهو (مأساة شعب وتبلد ضمير) تحدث فيه عن العلاقات الجزائرية ـ الفرنسية منذ الاحتلال وسياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر القائمة على نهب الثروات وتجريد السكان من شخصيتهم العربية . كما ضم العدد قصيدة لكاظم جواد واخرى لكاتب هذا البحث بعنوان (المروحة) التي ترمز الى احتلال فرنسا للجزائر ، واحتوى نفس العدد على بيان من العراق عنوانه « انقذوا الجزائر العربية ، نداء من المثقفين العراقيين الاحرار الى العرب الاحرار اينما كانوا » وقعه عدد من كتاب وشعراء العراق الشقيق ، منهم السياب ، والشواف ، والحلى ، وجواد ، ونيازي الخ .

ولم يفت الدكتورين سامي الدروبي ومحمد مندور، اللذين علقا على العدد السابق ، تناول البحثين المذكورين ، وهما (الديموقراطية والابادة) و (مأساة شعب وتبلد ضمير) . واستمرارا لهذا الجو ترجمت الاداب مقالة جان بول سارتر عن (نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر) في عددها السادس . والمقالة هي خطبة كان قد القاها سارتر في باريس برعاية لجنة المثقفين للعمل ضد متابعة الحرب في شمال افريقية ، ونشرها في مجلته (الازمنة الحديثة) وقد ترجم المقالة الدكتور سهيل ادريس بنفسه ، ووجه بهذه المناسبة تحية حارة الى سارتر والى جميع الفرنسيين الاحرار .

وتوالت الدراسات والمناقشات والقصائد في الاعداد اللاحقة . فاحتوى العدد السابع على اربع قصائد لعلي الحلى ، ومحمد النقدي ، ومحمد شمس الدين ، وزهير احمد، وعلى(رسالة الى فتى فرنسي في الجزائر) كتبها جان سوناك وترجمتها الآداب ايضا . كما احتوى العدد على مناقشتين تعرضان للجزائر وهي مناقشة محي الدين

اسماعيل لمقالة (نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر) لسارتر ، وتعليق كاتب هذا البحث على نقد قصيدة (المروحة) . اما العدد الثامن فقد ضم قصيدتين احداهما لعبدالرضا الطعان والاخرى لكاتب هذا البحث . ولاول مرة تضم الآداب قصة عربية تقارن بين الوضع في الجزائر وفي بلد عربي آخر ، وهي قصة مطاع صفدي (المزيفون والثورة العظيمة) التي جعلتها الاداب في باب (قصة الشهر) ، فقد قارن فيها الكاتب بين نضال الكلام في دمشق ونضال السلاح في الجزائر عندئذ . ولذلك اهداها «الى رفاق لي لم يزالوا في ارض الغبار اقدم لهم هذه القصة من ارض الدم » والعبارة الاخيرة هي التي جعلت الآداب تضيف الى عنوان القصة عبارة « من الجزائر » .

اما الاعداد الباقية من السنة فقد ضمت قصائد لنازك الملائكة وعلي الحلي وجلال السامرائي وقصيدتين لكاتب هذا البحث . غير ان العدد الاخير قد ضم بحثا لكلود بوريه (معركتنا في الجزائر او الخطف المجرم) الذي ترجمته الآداب وعلقت عليه بقولها « لا حاجة بالاداب الى التذكير بوحدة المعركة العربية في كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير . وان ضراوة المعركة في مصر لن تنسينا الجزائر المجاهدة التي ابتليت بالاستعمار الفرنسي ، هذا الاستعمار الذي اصبح شعاره الاول : الغدر » وهذا البحث كان قد كتب بمناسبة اختطاف فرنسا لعدد من زعماء الجزائر في خريف سنة ١٩٥٦ .

فالآداب اذن قد اكتشفت الجزائر العربية المجاهدة خلال هذه السنة ، ولم تعد تتحدث عنها كشيء ضائع في النطاق الجغرافي « لشمال افريقية » او في الاخطبوط الاستعماري المسمى وحدة الامبراطورية الفرنسية ، بل اصبح للجزائر لدى كتاب الآداب ومحرريها معركتها الخاصة ضد الاستعمار ، وان لهذه المعركة ادبها وفنها واهدافها التي تلتقي مع اهداف النضال العربي الآنية والآجلة .

— ٤ —

وقد اظهرت السنوات اللاحقة صورة هذا التطور بشكل اكثر جلاء . فمنذ العدد الثاني من سنة ١٩٥٧ كتب الدكتور محمد مندور مقالة بعنوان (زحف التحرر العربي) ربط فيها بين تحرر البلاد العربية من ربقة الاستعمار والتبعية فذكر سوريا ومصر ولبنان ومراكش وتونس ثم قال « وها هي الجزائر الباسلة في سبيلها الى التحرر بفضل جهاد ابنائها الابطال ومؤازرة الامة العربية كلها لها في هذا الجهاد » فالامة العربية من الخليج الى المحيط كانت تعتبر نضال الجزائر هو نضالها لانها اكتشفت ان هذا النضال هو شرف لها وانه جزء من حركة التحرر العالمي ضد التخلف .

واهتمت الآداب في نفس العدد ببحث للكاتب الجزائري مالك بن نبي (أسس فعالية اقتصاد افريقي — اسيوي) . وقد صدرت البحث بصورة صاحبه بل جعلته (بحث الشهر الاقتصادي) . والملاحظ هنا انها قد اضافت اليه عبارة « بقلم الكاتب الجزائري لفتا لنظر القارىء الى مفكري الجزائر والى ابطالها معا . وفي باب النشاط الثقافي اوردت المجلة اخبارا عن حركة الارهاب والاعتقال التي تباشرها السلطات الفرنسية في الجزائر بمناسبة عرض قضية الجزائر على الامم المتحدة . ودخلت اسماء جبال الجزائر ومدنها في الشعر العربي وغيره مثل وهران واوراس الخ . وفي هذا الصدد نشر الشاعر احمد عبدالمعطي حجازي قصيدته (اوراس) كما نشر محمود النجدي قصيدة بعنوان (رجال من الجزائر) . وفي العدد الخامس نشر الشاعر ايوب طه قصيدة بعنوان (اوراس) ايضا .

وقد ناقش ناجي علوش في العدد الثالث من هذه السنة كتاب (ثورة الجزائر) لعلي الشلقاني . ونلاحظ ان المناقش قد رفض اجتهادات المؤلف حول القضية القومية في الجزائر العربية ، وقضية ادماج الجزائر في فرنسا ، وقضية الصراع الطبقي واثره في الوحدة القومية ، وكانت للمؤلف الشلقاني تفسيراته لهذه القضايا التي لم يكن فيها ، كما لاحظ المناقش ، ملتزما بوحدة كفاح الجزائر من الداخل ولا بوجهة كفاحها القومية . وقد عاد علوش الى نفس الموضوع في العدد الخامس .

واعطت الاداب اهتماما خاصا لموقف الكتاب الفرنسيين من قضية الجزائر ، فكنت لا تقرأ عددا منها خلال هذه الفترة الا وفيه حديث من مراسلها في فرنسا عن موقف هؤلاء الكتاب . ففي العدد الرابع حديث عن (معركة الجزائر) تناول فيه المراسل المناقشة التي دارت بين فرنسوا مورياك وجان عمروش حول القومية الجزائرية التي يؤمن بها الثاني ويرفضها الاول . وكان مورياك ينادي بالتفاوض مع فرنسا بدل المطالبة بقومية جزائرية مستقلة عن فرنسا . اما في العدد الموالي فقد دارت المراسلة من باريس حول البيان الذي وقعه ٣٥٠ كاتبا وصحفيا وشخصية فرنسية والذين طالبوا فيه برفض الارهاب في الجزائر . كما تحدث المراسل عن مقتل علي بو منجل الجزائري ووثيقة الكاتب سرجان شرايبر التي اصدرها بعنوان (ليوتنان في الجزائر) .

وهذه النقطة هي التي عاد اليها سهيل ادريس في العدد الموالي عندما كتب تحت عنوان (قضية الجزائر — التعذيب والشرف) وهو يعني بالتعذيب انتحار علي بو منجل هروبا من التعذيب ، وبالشرف موقف مورياك الذي اعلن انه لن يكتب الرواية بعد اليوم لان فظاعة الواقع تطرده من ميدان التأليف الخيالي . وتناول الدكتور ادريس في هذا العدد مجموعة من الكتب الفرنسية التي صدرت عن الجزائر وتتحدث عن التعذيب والارهاب هناك . ومنها كتاب شرايبر المذكور ، وكتاب ب.هـ. سيمون (ضد التعذيب) الخ . ومما يلفت النظر ان الدكتور ادريس قد انهى مقالته بهذه العبارات الساخنة « ايها المكافحون

المعذبون في الجزائر .. لن تكونوا ابدا عراة ما دمتم ترتدون ثوب الشرف » .

وفي نطاق التعريف بالقضية الجزائرية ضم نفس العدد مقالا لعبدالحميد مهري ، مندوب جبهة التحرير الوطني في دمشق عندئذ تحدث فيه عن الجانب الانشائي من الثورة الجزائرية وعما تبنيه هذه الثورة اثناء هدمها للنظام الاستعماري ، وخاصة انعقاد مؤتمر الصومام التاريخي الذي وضع أسسا صلبة لاستمرارية الثورة وضمانات نجاحها .

واستمرت الاداب في نفس الخط في اعدادها اللاحقة . فنحن نجد العدد الثامن قد ضم ترجمة لمقالة سارتر (مجندون يشهدون) التي حلل فيها نفسية الانسان الفرنسي تجاه قضية الجزائر ، وقد جعلتها الآداب تحت هذا العنوان (قضية الجزائر ابدا) وتحت هذا العنوان ايضا عاد الدكتور عبدالله عبدالدائم يحلل مأساة الجزائر من خلال الكتاب الذي الفه الفيلسوف الفرنسي ، ريمون ارون . ورغم ان ارون كاتب يميني واستاذ علم الاجتماع بالسوربون فقد تحرك ضميره ازاء قضية الجزائر ويكفي العنوان الذي وضعه المؤلف ، وهو (مأساة الجزائر) . وحول نفس الموضوع تناول جليل كمال الدين كتاب (اضواء على القضية الجزائرية) الذي الفه ابراهيم كبه في بغداد . وقد ضم الكتاب سبعة فصول عن الثورة الجزائرية ، واعتبره المراجع تعبيرا عن المساهمة العربية في التعريف بالثورة .

وقد عرف قراء الاداب خلال هذه السنة مجموعة من الدراسات عن الجزائر مكتوبة باقلام جزائرية . وكان الفضل في تقديم هؤلاء الكتاب يعود حقا الى الاداب . فقد نشرت لاربعة كتاب جزائريين على الاقل دراسات وقصصا . من ذلك بحث المفكر مالك بن نبي (من اجل ثقافة افريقاسية) وهو الذي ترجمه عن الفرنسية الطيب الشريف ، وقدم عثمان سعدي دراسة مطولة عن (الادب الشعبي والمقاومة الجزائرية) وهي دراسة تاريخية ووصفية للادب الشعبي الجزائري وعلاقته بالكفاح السياسي وبالثورة . اما الدراسة الاخرى فلكاتب هذا البحث تناول فيها الشعر الجزائري المكتوب بالعربية بعنوان (تصميم للشعر الجزائري الحديث) . اما في ميدان المسرحية والقصة فقد نشرت الاداب تمثيلية (عذابات) لابي العيددودو ، وهي من فصل واحد وتقع احداثها في معسكر للجيش بالقرب من بجاية . كما كتب عثمان سعدي قصته (اثنان وثلاثون طلقة) .

- ٥ -

اما الشعر فقد ضعف خلال هذه السنة (١٩٥٧) فلم تورد الآداب منه سوى قصيدة لحبيب صادق ، بالاضافة الى ما ذكرناه من قصائد لحجازي والنجدي وطه ، بينما ضمت سنة ١٩٥٨ عددا كبيرا من القصائد عن الجزائر، معظمها خاص بجميلة بوحيرد اثر الحكم عليها بالاعدام من قبل الفرنسيين . ومن الذين ساهموا في هذه المناسبة نزار قباني ، وشفيق الكمالي ، ونجيب سرور ، ومحمد المصري ، وعيسى الناعوري ، وسليمان العيسى ، وحسن البياتي ، وعلي الحلي ، ومحمد الفيتوري ، وفارس قويدر . وفي هذه الاثناء صدر في القاهرة كتاب بعنوان (جميلة) يضم احدى عشرة قصيدة وقد راجعه للاداب علي شلش .

وكان احتفال الاداب بالدراسات والابحاث عن الجزائر اقل بكثير من احتفالها بالشعر فلا نكاد نجد في اعداد سنة ١٩٥٨ سوى مقال لسارتر (الجلادون) الذي اعتبرته المترجمة عائدة مطرجي ادريس ، « اخطر مقال عن حقيقة التعذيب في الجزائر » والمقال عبارة عن التعليق الذي كتبه سارتر على كتاب (الاستجواب) لبيير اليغ . وقد ساهم جليل كمال الدين ببحث عن (الجزائر في الفن العراقي) ضم لوحتين : الجزائر لفرج عبو ، ومجزرة الجزائر لمحمود صبري ، بالاضافة الى تمثال جميلة لاسماعيل الترك . وما دمنا بصدد الحديث عن الفن فلنذكر ان صورة غلاف العدد الرابع كانت رسما لجميلة بو عزة مكتوبا تحتها بقلم الفنان ناظم ايراني « الى المناضلة الباسلة جميلة مع اكباري العميق » .

وتحت عنوان (ثورتنا العربية في الجزائر) ناقش ناجي علوش كتاب (شروط النهضة ومشكلات الحضارة) لمالك بن نبي ، وقد عالج فيه افكار ابن نبي بشيء من الاعجاب . وفي العدد الثاني كتب الجنيدي خليفة (رسالة من سجين جزائري) ، كما نشر كاتب هذا البحث دراسة عن (الغزل في الشعر الجزائري) . اما القصص فقد نشرت منها الاداب اثنتين احداهما (الزنزانة السابعة لم تعد تجيب) لاحمد عكاش التي ترجمها عن الفرنسية حنفي بن عيسى . والملاحظ ان القصاص والمترجم جزائريان . ونفس الشيء يقال عن عثمان سعدي الذي كتب قصة (الشيخ حداد) .

ولم تخل الاداب من اهتمامات اخرى عن الجزائر خلال هذه السنة . فقد كانت تنشر وقائع المؤتمرات العربية وغيرها ، وخاصة ما يتعلق منها بالجزائر ، مثل برقية الى الامم المتحدة بشأن الجزائر ، وبيان عن الجزائر الصادرين عن مؤتمر الادباء العرب الثالث (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ومثل الاعلان عن صدور كتاب (عارنا في الجزائر) لسارتر بمناسبة اسبوع الجزائر في البلاد الافريقية والاسيوية ، وكذلك الاعلان عن قرب صدور (انسان الجزائر) للشاعر علي الحلي ..

- ٦ -

وبقدر ما ضعف الشعر عن الجزائر سنة ١٩٥٩ بقدر ما تضاعفت الدراسات ، فاما الشعر فلا نكاد نجد منه سوى اربع قصائد لنازك الملائكة ، وصادق الصائغ ، وحسن

فتح الباب ـ وكلها تقريبا عن جميلة ايضا . ولكن افتتاحية الاداب للعدد الحادي عشر كانت قمة في التعبير عن ايمانها بالنصر للثورة . فقد كتب الدكتور سهيل ادريس (تحية الى الجزائر) جاء فيها على الخصوص « ليس من شك بعد في ان الشعب العربي في الجزائر قد انتصر.. فلقد انتزع بكفاحه الطويل المرير الدامي حقه المقدس في تقرير مصيره ، وارغم الاستعمار الفرنسي على الاعتراف بهذا الحق الذي سيؤدي بلا ريب الى استقلال الجزائر. وسيادة الشعب العربي في الجزائر » . وهذه بدون شك كلمات قوية في ذلك الوقت ، وهي تعبر عن الايمان الصامد بتحقيق الاستقلال ، رغم ان كثيرين ، ومنهم بعض الجزائريين ، كانوا الى ذلك الحين غير متأكدين منه . وهناك افتتاحية اخرى للاداب تناولت (قضايانا القومية) وخصصها الدكتور سهيل ادريس للحديث عن قنبلة فرنسا الذرية وعن بترول الصحراء الجزائرية . وقد مجد فيها مجددا الثورة واشاد بعروبة الجزائر وصمود ثوارها .

وقد ضمت ابحاث هذه السنة ثلاثة دراسات عن كتب تتعرض لقضية الجزائر . احداها العرض الذي قدمه محمد وهبي لكتاب (الثورة الجزائرية) لاحمد الخطيب ، والثانية عرض الدكتور سهيل ادريس لكتاب (مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا) لجانين اوريانو الذي وضعه في باب (كتاب الشهر) . وقد انتهى الدكتور ادريس منه بقوله انه مهما وجد في هذا الكتاب من مآخذ فانه يعترف بحق الجزائريين في الاستقلال والحرية . واما الدراسة الثالثة فهي تخميس شاهين (الانسان العربي ورواية دريس) الذي ابى الا ان يناقش قضية الجزائر ايضا من خلال هذه الرواية التي تبدو الى حد ما بعيدة عنها . ومن جهة اخرى نشر احمد الخطيب بحثا عن (الامير عبد القادر الجزائري : بطولة وشعر) .

واشترك عدد من الكتاب الجزائريين ايضا بابحاثهم وقصصهم في الاداب خلال هذه السنة. اما الابحاث فنذكر منها (الفلاح والثورة العربية في الجزائر) لعثمان سعدي الذي سبق له ان القاه محاضرة في الكويت ، وهو بحث يتناول تاريخ الجزائر مع الاستعمار الفرنسي ، وخاصة الجانب الاقتصادي الاستغلالي منه . ولنفس الكاتب مقال عنوانه (رسالة الى مناضل) . كما اسهم محمد الصالح الصديق بمقاله (الى البطل القائد عمروش). اما كاتب هذا البحث فقد نشر في الاداب خلال هذه السنة دراستين احداهما عن (البطولة في الادب الجزائري الحديث) والاخرى عن (رسالة الجمعيات والنوادي ، في الجزائر) . واما في ميدان القصة فقد نشرت الاداب قصتين لكاتبين جزائريين هما عثمان سعدي وقصته (تحت الجسر المعلق) وحنفي بن عيسى وقصته (في حي القصبة) .

وبالاضافة الى ذلك تابع مراسل الاداب في فرنسا مدها باخبار مواقف المفكرين الفرنسيين من قضية الجزائر ، وخاصة ما اثاره كتاب (التعفن) او الفنفرينا من نقاش ، وهو الكتاب الذي يصف فظاعة التعذيب في الجزائر . ومن جهة اخرى اوردت المجلة خلاصة لكلمة ممثل الجزائر في مؤتمر الادباء العرب الرابع الذي انعقد في الكويت خلال سنة ١٩٥٩ .

ـ ٧ ـ

واحتفلت الاداب خلال سنة ١٩٦٠ بعدة ابحاث عن كامو وعن الادب الجزائري كما احتفلت بعدد من القصائد التي تغنى اصحابها بالثورة. فاما الابحاث المخصصة لكامو فنذكر منها (كامو والتمزق) للدكتور سهيل ادريس الذي كتب بهذه المناسبة « نحن نعتقد بأن مأساة الجزائر تكمن وراء هذا التمزق » . وفي نفس الدرب سار محي الدين اسماعيل في بحثيه عن (كامو والبحث عن السعادة) الذي حلل فيه مواقف كامو العامة ، ومنها موقفه من قضية الجزائر ، و (كامو ونظرية التمرد) . وقد سبق ان لاحظنا ان الاهتمام بكامو يعود في نظر عدد من الكتاب العرب عندئذ الى اهتمامهم بقضية الجزائر ، حتى ان بعضهم قد اعتقد في « جزائريته » . ولولا ذلك لاعتبرنا اهتمامهم به مجرد دراسة للفلسفة المعاصرة ومواقف الانسان من مجتمعه .

اما الابحاث المركزة على ادباء جزائريين بعينهم فنذكر منها (محمد العيد كبير شعراء الجزائر) لكاتب هذا البحث الذي قدم به لقراء الاداب شاعر العربية في الجزائر المستعمرة ، و(رضا حوحو ونضال الكلمة) لكاتب هذا البحث ايضا الذي عرض فيه حياة واثار الشهيد احمد رضا حوحو ومواقفه الادبية . ورضا حوحو من ادباء العربية ايضا في الجزائر . وكاتب هذا البحث ايضا هو الذي نشر (محاولاتنا في النقد الادبي) تناول فيه الحركة النقدية في الجزائر ولا سيما مدرسة مجلة (الشباب) وجريدة (البصائر) . وكانت هذه الابحاث الثلاثة تركز كما سبق ، على كتاب وشعراء الجزائر بالعربية ، في الوقت الذي نشرت فيه الاداب ايضا مقالات تلقي اضواء على كتاب جزائريين يكتبون بالفرنسية . ومن هؤلاء ما نشره عثمان سعدي عن مولود معمري صاحب روايتي (الربوة المنسية) و (سبات العادل) . وقد نشر عثمان سعدي ايضا قصة لنفسه بعنوان (الثلج والشوف) كما نشر مواطنه حنفي بن عيسى قصة بعنوان (عائدون) . وهكذا عرف قراء الاداب خلال هذه السنة عددا من ادباء الجزائر وشعرائها ، ناقدين ومنقودين ، بالعربية وبالفرنسية .

وهناك افتتاحيتان هامتان للاداب خلال هذه السنة كرستا للجزائر ، اولاهما كتبها الدكتور سهيل ادريس بعنوان (الجزائر والحرية) تحدث فيها عن الـ ١٢٠ مثقفا فرنسيا حرا الذين اصدروا بيانا دفاعا عن اعضاء

منظمة جانسون) التي كانت تعين الجزائريين . وقد قال الكاتب بعد ذلك « ونحن المثقفين العرب نستطيع ان نقدر اكبر التقدير موقف هذه الحفنة من احرار فرنسا لاننا نعيش المأساة الجزائرية في ضمائرنا ودمائنا » ثم وجه « تحية اليهم ، وتحية الى شعب الجزائر العظيم ، صانع المعجزات والبطولات ! » اما الافتتاحيه الثانية فقد كتبها الدكتور عبدالله عبدالدائم بعنوان (الانسان وازمةالجزائر) وتعرض فيها لعلاقة الجزائر بفرنسا من الناحية المأساوية، والثورة ، وموقف الفرنسيين الاحرار ، واساليب التعذيب ضد الجزائريين . وبذلك يتجلى ان اهتمام الاداب بالثورة لم يكن ادبيا فحسب بل كان سياسيا وقوميا ايضا .

اما الشعر خلال هذه الفترة فقداشترك فيه خليل الخوري ، ومحمود كلزي ، وسليمان العيسى ، ونجيب سرور ، واحمد سويد ، ويظهر من هذه القائمة ان هؤلاء الشعراء يمثلون عدة اقطار عربية ، ولكن عددهم قليل بالنسبة لبعض الفترات الاخرى .

ـ ٨ ـ

وقد كادت الاداب سنة ١٩٦١ تخلو من ابحاث جادة وقصائد هامة عن الجزائر . ولولا ثلاث قصائد لمالك حداد (ترجمة ملك الابيض العيسى) وقصيدة لسليمان العيسى (وكلها في عدد واحد هو الثامن) لما عثرنا فيها على اية قصيدة تتناول موضوع الجزائر خلال السنة المذكورة .

اما الابحاث فقد كتبت الاداب افتتاحية بعنوان (وثيقة بطولة) مترجمة عن مقال للكاتب الفرنسي جانكو . وقد اغتنمت هذه الفرصة للتنويه بالثورة الجزائرية التي كانت قد دخلت عامها الثامن ، ولتحية كفاح الشعب الجزائري من جديد ، والاشادة بالمظاهرة الكبيرة التي قام بها الجزائريون في ذلك الوقت متحدين بهاالسلطات الفرنسية الفاشمة .

وفي هذه الاثناء تلقت الآداب مراسلة من الجزائر، اكتفى صاحبها بحروف (ع.أ.ق) وجعل لها عنوانا مثيرا هو (الادب العربي يحتضر في الجزائر) . وقد صور الكاتب فيها الصعوبات التي يمر بها الادب المكتوب باللغة العربية هناك . ومن جهة اخرى ساهم الجنيدي خليفة بمقال فلسفي سماه (الوجود بلا وسيط) . كما ترجم محمد برادة مقالة مولود معمري عن (الادب الروائي المغربي المكتوب باللغة الفرنسية) وهو هنا يقصد ادب المغرب العربي وليس ادب قطر بعينه . اما الانتاج القصصي فلم نعثر منه سوى على قصة لحنفي بن عيسى بعنوان (الشمس لا تشرق من باريس) .

غير اننا نجد في الاداب خلال هذه السنة بعض المراجعات للكتب التي تتناول قضية الجزائر وادبها . ومن ذلك مراسلة من باريس عن كتاب (اصوات في القصبة) لحسين بوهازر (بوزاهر ؟) وهو كتاب يضم عدة قصائد ومسرحيتين . وكتاب (حرب الجزائر) لجول روي الذي يعتبر من انتاج شاهد عيان وقد احدث ضجة عندصدوره. وقد كتب مندوز الفرنسي (الثورة الجزائرية بالنصوص). وبهذه المناسبة نذكر مراجعة عبدالرحمن الزناقي للكتاب الذي الفه كاتب هذا البحث عن (محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث) .

ـ ٩ ـ

واذا انتهينا بسنة ١٩٦٢ الى شهر يوليو ، وهوتاريخ استقلال الجزائر ، فاننا لا نجد في الآداب خلال هذه الفترة اكثر من ثلاث قصائد تفاوت مردم وكاظم جواد ومحي الدين فارس . اما الابحاث فقليلة جدا نسبيا . فقد ترجم الدكتور سهيل ادريس مقدمة سارتر لكتاب (معذبو الارض) لفرانز فانون ، وهذا الكتاب ، كما اصبح معروفا، وثيقة ادانة ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، لذلك صادرته السلطات الفرنسية في باريس فور صدوره .

ومن جهة اخرى كتبت الاداب افتتاحية جديدة (تحية الى الجزائر) بمناسبة قرب اعلان الاستقلال . وقد بدأتها هكذا « البشرى لنا ايتها الجزائر العظيمة، يا ارض البطولات الخالدة ! » وتمنى كاتبها الذي يغلب على الظن انه هو رئيس التحرير نفسه ، ان ترد الثورة الجزائرية « القيمة للحرف العربي ، هذا الحرف الذي ما يزال يهدره كثير من التدجيل والنفاق ، وسيكون من شأن ثورتك (الجزائر) ان يرفعه من جديد الى صعيد الحرمة والقداسة » وكانت هذه التحية من الاداب احر ما قدمته من عواطف قومية وشخصية للثورة .

ورغم ان الدكتور عبدالدائم قد نشر مقالته (الجزائر المستقلة والثورة) خلال شهر اغسطس فان ما جاء فيها يعتبر تحليلا للاحداث التي جرت بعد مارس ١٩٦٢ . فقد راجع فيها الاسباب التي ادت الى تطور العلاقات الفرنسية الجزائرية من جهة والعلاقات بين الجزائريين انفسهم وارجعها الى وضع الجزائر الخاص ايام الاستعمار . وكان الكاتب متفائلا ، رغم كثرة المصدومين مما وقع عندئذ ، حين بشر بان ثورة الجزائر ستتغلب على الصعوبات الطارئة وانها ستؤدي الى « تحرر الانسان العربي من كل صنوف العبودية واطلاق قواه وطاقات الابداع لديه وخلق الحضارة العربية الموحدة المبدعة في سبيل تقدم الانسان وغنى الانسانية » .

واحتوت الاداب على لقطات هامة عن حياة الشاعر مالك حداد والقصاص مولود قرعون . فمزيد الظاهر عرض ونقد كتاب (الشقاء في خطر) لحداد الذي ترجمته السيدة ملك ابيض العيسى . اما قرعون فقد وردتعلى المجلة مراسلة عن حياته وآثاره بعد مقتله من طرف منظمة الجيش السري الارهابية .

ونحب ان نختم هذا البحث بالكلمات التي كتبها

الدكتور سهيل ادريس في افتتاحيته (على ارض الجزائر) حينما دعي لحضور احتفالات اول نوفمبر ١٩٦٢ اعترافا بفضل الاداب على الثورة وتقديرا لموقف رئيس تحريرها . فقد كتب بتلك المناسبة « تلمس قدماي ارض الجزائر فيتحقق الحلم الاثير ، وتغيم عيناي بفشاوة من دموع حين يرف فيهما علم الجزائر فوق بناء المطار : لقد ولدت اذن بنت المخاض العسير الدامي » ان هذه الكلمات كانت في الواقع تعبيرا على ما كان يختلج في نفوس العرب الاحرار في كل مكان تجاه الثورة الجزائرية التي اعادت للانسان العربي كرامته .

ـ ١٠ ـ

ويمكننا ان نستخلص عدة نقاط من هذه الدراسة:

١ ـ ان اهتمام الاداب بالثورة الجزائرية كان قوميا بالدرجة الاولى . فقد نظر العرب القوميون الى هذه الثورة على انها تعبير عن كرامتهم وتحفزهم وطموحهم في وقت كانوا يبحثون فيه عن (الفارس) الذي يحقق لهم الحلم ويرد لهم الاعتبار . ويلاحظ الدارس ذلك من افتتاحيات المجلة وفي التقديم الذي كان يكتبه قلم التحرير لهذه الدراسة او تلك . وقد استطاعت الآداب ، من جهة اخرى ، ان تربط ، من خلال ابحاث كتابها وقصصهم وقصائد شعرائها ، بين الثورة الجزائرية ونضال الامة العربية ، وان تربط القارىء العربي الذي كان ، قبل الثورة ، يجهل تقريبا كل شيء عن الجزائر ، بنضال الشعب الجزائري . وقد كانت الاداب في ذلك منسجمة كل الانسجام مع نفسها لان رسالتها منذ البداية كانت ،على الصعيد السياسي ، رسالة قومية .

٢ ـ من خلال الآداب عرف الناس الادب الجزائري بلغتيه العربية والفرنسية . فبعد قرن وربع من الاحتلال والاستعمار المباشر وطمس معالم الثقافة العربية ، قدمت الاداب الى قرائها نماذج من انتاج الجزائريين الادبي. فعن صفحاتها عرف هؤلاء الناس ، عربا وغير عرب ،من هم ادباء الجزائر بالفرنسية (كاتب ياسين ، مولود معمري ، مولود فرعون ، محمد ديب ، مالك حداد ، مالك ابن نبي) كما عرفوا نماذج من ادبائها بالعربية (محمد العيد ، احمدرضا حوحو ، عثمان سعدي، الجنيدي خليفة، ابو العيد دودو ، حنفي بن عيسى ، ابو القاسم سعدالله).

حقا ان بعض الخلط قد وقع في البداية بين كتاب الجزائريين والفرنسيين مثل كامو وروبلس . ولكن هذا الخلط ما لبث ان زال .

٣ ـ ان الاداب ، بما احتوته من انتاج واخبار ودراسات عن الجزائر ، تعتبر بحق مكتبة هامة لدراسة جوانب كثيرة من الثورة الجزائرية وتطورها ، وخاصة على الصعيد العربي . فهي لم تكتف بالنقل مما كتب عن الثورة فقط بل ضمت انتاجا غزيرا من اهل العربية ، سواء كانوا من الجزائريين او من العرب الاخرين ، وهي لذلك تعد مصدرا لا غنى عنه لدراسة ادب الثورة الجزائرية .

٤ ـ واخيرا نحب ان نلاحظ ان معرفة هيئة تحرير المجلة للغة الفرنسية قد سهلت مهمتها في الاتصال بالادب الفرنسي المتعلق بالجزائر والنقل منه الى قرائها . وهذه الميزة لم تتيسر لمجلات اخرى . فقد حفلت الاداب ، نتيجة لذلك ، باخبار الادب الجزائري (جغرافيا وقوميا) الواردة من فرنسا من المجلات والمصادر الاخرى الفرنسية، مثل ليكسبريس ، وفرانس اوبسارفاتور ، والازمنة الحديثة ، والعديد من الكتب الصادرة بفرنسا .

* * *

وبعد فان هذه الدراسة ليست الا عرضا سريعا لما نشرته الآداب عن الثورة الجزائرية منذ ظهورها الى يوليو ١٩٦٢ . وقد اردنا بها معرفة دور الآداب بالنسبة الى قضية عربية كانت تملأ الدنيا دويا في فترة من فترات صحوتنا القومية . اما التوقف عند كل جزئية ، والبحث والمقارنة في الانتاج المنشور ، وتقييمه ، فهو متروك لدارسين آخرين ، ولا سيما الجيل الصاعد الذي قد يخصص ابحاثا اكاديمية مستقصية لما اكتفينا نحن هنا بجمعه وترتيبه وعرضه . وحسبنا في هذا المجال ان ننوه بخطوات الاداب في رصدها لاحداث الامة العربية والتعبير عنها قوميا ، وحسبها هي فخرا انها اصبحت لسان حال جيل كامل من هذه الامة ، جيل يؤمن بالوحدة العربية وبالتقدم العلمي وبالتحرر من جميع اشكال التبعية .

ابو القاسم سعدالله
(جامعة الجزائر)